تدوين رحلة دعوية إلى الديار الفرنسية 2/1

VILLEMOMBLE

رمضان 1424هـ/2003م

بقلم محمد خروبات

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه، وبعد :

فسأشرع بحول الله وقوته في نشر مجموعة من الرحلات العلمية والدعوية والتي كنت قد دونتها عبر سنين ماضية لعل الله عز وجل ينفع بها كما نفع بغيرها، والمؤمن لا يحقر من المعروف شيئا، فاللهم ارزقنا الإخلاص في العلم والدعوة والعمل.

نمط هذه الرحلات أو الأسفار أنها مدونة بعمل اليوم والليلة، لذلك فأسلوبها يختلف عن نمط أساليب تدوين الرحلات حين يَعْمد البعض إلى الوصف الذي تكتنفه لغة المجاز والشعر فيختار أعذب الألفاظ وأنقى الأساليب ليكون الغرض هو شد القارئ إليه من دون تقديم الحقيقة على وجهها الصحيح والسليم، لغة هذا التدوين لغة تقريرية، تقرر الحقائق كما هي لا كما تُتَصوَّر، منطبعة بطابع الصدق والوضوح، قد تبدو أنها مغرقة في التفاصيل والجزئيات إلى درجة أنها أشبه بسيرة ذاتية لكن الذي يشفع لها أن لها صلة بالدعوة والتأطير والتكوين .

هذه الرحلة هي رحلتي الثانية إلى الديار الفرنسية تمت في إطار مؤسسة الحسن الثاني للجالية المقيمة بالخارج، لم نتمكن من الخروج في اليوم الأول من رمضان لتأخر قنصلية فرنسا في الرباط في تقديم التأشيرة لمجموعة من الأئمة والأساتذة، لذلك تأخر سفرنا إلى غاية العاشر من رمضان، في هذا اليوم أخذت القطار من مدينة الرباط - وذلك بعد مضي أسبوع من الانتظار – متوجها إلى الدار البيضاء حيث مطار محمد الخامس الدولي، كان هذا اليوم هو اليوم الخامس من شهر نونبر 2003م، الموافق للعاشر من رمضان لعام 1424هـ، كان الركوب على التاسعة صباحا حيث امتطينا طائرة بوينغ إلى مطار أورلي بفرنسا، بعد ثلاث ساعات تقريبا حطت بنا الطائرة في المطار بعد قطع 1140 ميلا تقريبا، وجدت في المطار الأخ يوسف الشطبي، شاب من حفظة كتاب الله، متوجها إلى إحدى الجهات في باريس، يشغل إماماً بالمسجد التقوى بحي أبي رقراق حاليا والمعروف في اسمه التقليدي ب "دوار الدوم"، ولهذا الاسم دلالة كبيرة في حياتي الماضية، حياة الطفولة والصبا والشباب، حياة التحصيل والطلب، حياة المرح واللهو في الفترات المبكرة من العمر، أعرف هذا الشاب لأنه من جيراننا بالحي، له أخ أكبر منه إسمه محمد من الحفاظ أيضا، ولي به معرفة قديمة، أبوهما كان مُحفِّظا للقرآن الكريم بالكُتَّاب الذي درست فيه وتعلمت والذي كان أمام الفَرَّان وقريبا من سكناهم، وقد أخذت أشياء من كتاب الله على والدهم، كان شيخا ضخم الجثة وصارما وكان يسمى ب "الحاج التهامي"، وهؤلاء الأولاد هم صنعة أبيهم من دون شك،

رحمة الله عليه رحمة واسعة، ووجدت ضمن هذه الرفقة الأستاذ الدكتور زيد بوشعراء كان متوجها هو الآخر إلى جهة تولوز بفرنسا، وهي الجهة التي كنت فيها في العام الماضي، أعني بذلك عام 1423هـ، طيلة كلامي وحواري كان مع الأستاذ زيد، فقد أخبرته بالوضع العام لهذه الجهة، افترقنا في المطار لأن إقلاعه كان على الساعة الثامنة، ولي مع زيد ذكريات حميمية، فقد كان رفيقي في تحصيل العلم طيلة سنوات الإجازة الأربع وأتممناها بسنتين في سلك تكوين الكونين في التعليم العالي، وكنا من الفوج الثاني لشعبة الدراسات الإسلامية بجامعة محمد الخامس بالرباط، كنت أقول دائما شخصان هما على أتم معرفة بماضي العلمي، الأستاذ زيد والأستاذ فريد الأنصاري عليه رحمة الله.

في المطار أيضا تعرفت على الدكتور أحمد كديد، رجل هادئ ووسيم، رقيق الطبع، يجعلك تستأنس به، يشغل غرفة بالمجلس الأعلى، ملحق بالإدارة المركزية لوزارة العدل، من خريجي المعهد الوطني للدراسات القضائية، هو أيضا خرج للتأطير، التصقت به طيلة السفرة من البيضاء إلى أورلي، هو الآخر كان عنده علم بالمنطقة التي أنا متوجه إليها، لأنه سبق له أن اشتغل بها في السنة الماضية، هذا النوع من الأسئلة عن الأماكن هو مهم جدا بالنسبة للداعية، فمعرفة وضع المكان من كل الجوانب يجعل مهمة الداعية في تلك المنطقة مكللة بالنجاح، وهو ما يطلق عليه "معرفة الواقع" أو "فقه الواقع" وهو جزء من الفقه كما لا يخفى، ذلك أن معرفة المكان ومشاكله وهمومه هي المحددات الأولى لطبيعة الدروس والمواعظ، أن تقدم للناس ما يريدون هو أكبر نجاح في مهمة الوعظ والإرشاد.

كانت المنطقة التي سأتوجه إليها تدعي ب "Villemomble"، حطت بنا الطائرة بسلام في المطار وجدنا في استقبالنا كاتب القنصل العام، وسائق السيارة المدعو ب "الشغالف" حملونا في سيارة وانطلقوا بنا إلى جهة محطة القطار حيث سيأخذ الأخ يوسف الشطبي والسيد أحمد أكديد القطار إلى المكان الذي هم متوجهون إليه، وبعدها توجهنا إلى مسجد بلال، وجدت في هذا المسجد راحة تامة، أثناء دخولي المسجد وجدت الشيخ الأستاذ بنكيران والد أخينا الدكتور عبد الصمد بنكيران قد غادره إلى جهة أخرى، تسلمت من كاتب القنصل البرنامج العام للجولة، بهذا البرنامج حوالي عشرة مساجد، يومان لكل مسجد وهو ما يوازي عشرين يوما المتبقية من شهر رمضان، حللت بهذا المسجد في الحادي عشر من رمضان في وقت صلاة العصر، في المساء كان لي درس في الأحوال الشخصية وكان تحت الطلب، فقد أصرت لجنة المسجد على هذا النوع من الدروس، أحسست أن الناس قد تفاعلوا معه كثيرا، لم أتمكن من إتمامه لأن صلاة العشاء والتراويح في الانتظار، ووعدتهم بإكماله في اليوم الموالي، وكانت اللجنة تُسجل الدروس لِيَتمَّ الاستفادة منها في أيام أخرى أو مناسبات أخرى، مسجد بلال مسجد تسهر عليه لجنة متجانسة تسير شؤونه، يوجد في شارع إميل زولا رقم 5، كليشي سو بوا 93، مسجد كبير وواسع، يتسع لأكثر من ثلاثمائة مصلي، فيه النساء والرجال والشباب، كلهم مغاربة من جهة وجدة والشمال الشرقي، إمامه شاب من خريجي الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بوجدة، يدعى أنس بولغشى، كان يومها متزوجا وله طفلة في شهورها الأولى.

كنت في يوم السفر أحس بتعب شديد، لأنني لم أنم ليلة السفر جيدا، أدينا فطورا جماعيا في بيت رئيس الجمعية السيد "عبد الرحمن بوحوت"، كان معنا الإمام أنس والسيد العيساوي والعايدي والسني، يغلب على المسجد حضور إخوة جماعة التبليغ بكثرة، لكنهم طيبون والحمد لله، في اليوم الموالي وهو اليوم الحادي عشر بعد صلاة الظهر خرجنا في جولة خفيفة قرب المسجد، وهو حي يطغى عليه العرب من جنسيات مختلفة، والإخوة المغاربة من مختلف المدن المغربية، والأفارقة المعروفون بسحنتهم، حي يكثر فيه الشغب كثيرا لذلك نجد دوريات أمنية كثيرة، الحي فيه إهمال كبير، لا تهتم به السلطات الفرنسية كثيرا .

تناولنا وجبة الفطور عند أحد الإخوة من المكتب وهو محمد ويدرن، ألقيت درس المساء وكان تتمة للدرس السابق، وبعد صلاة العشاء والتراويح عدنا عند الأخ محمد ويدر، وامتدت الجلسة إلى منتصف الليل، وكانت جلسة علمية ودعوية تُثَار فيها موضوعات كثيرة ومختلفة، وهذه الجلسة ليست كجلسة الدرس، فالمطلوب منك أن تجيب على أسئلة الناس، وتعالج مشاكلهم، وتتكلم في قضاياهم، كنت أتحاشى الحضور إلى الجلسات الليلة لسبب الإرهاق الشديد الذي تُسببه، لكن إذا فُرض عليك ذلك من قبل المكتب المسير فلابد من الاستجابة، في هذه الليلة أخبرت بأنني سأتوجه إلى القنصلية المغربية ب "Villemomble" على الساعة التاسعة صباحا، في الصباح وفي نفس الوقت حملني أحد أعضاء المكتب على متن سيارة ميرسديس إلى القنصلية.

أتذكر أنه أثناء الطريق يحكي لي رفيقي - وقد دار الحوار حول أوضاع الأسر في المهجر- أنه يوجد للعائلات المتزوجة صندوقا يسمى ب "صندوق التضامن" يساعد الآباء بمقدار مالي عن كل إبن، استحسنتُ الفكرة في بداية الأمر، لكنه أردف قائلا بأن الطفل الصغير في بعض الأحيان يُطالب آباءه بمنحته التي هي له، ويقول لهم بصريح العبارة بالعربية أو الفرنسية: أريد فلوسي، وإذا اشتريتم فلستم أنتم الذين تشترون لي، السلطة هي التي تُنفق علي، اتفقت معه على أن هذا أسلوب مدمر للطفولة، ثم أردف قائلا أن الزوجة نفسَها تُطالب بذلك وتقول نفس الكلام،فاتفقت معه على أن هذه الطريقة مدمرة للأسرة كلها، كان الرجل يسترسل في كلام تنتابه زفرات الحسرة والألم وكأني به هو المقصود بذلك. كل هذا والسيارة تخترق عباب الشوارع، لم أتمكن من التقاط صورا بعيني عن الأماكن التي أمر منها، لكن التركيز واستيعاب ما يقال شغلني عن كل ذلك، من طبيعة الحال لا يمكن أن أتركه يسترسل في الكلام من دون أن أبدي ملاحظات عن هذه الوقائع، لكن كلما زدت زاد في الكلام حيث ذكر لي أن زوجته كانت تحمل طفلها للعلاج عند الطبيب فضربته في قاعة الانتظار ووبختة لسبب وجيه فنهرتها الممرضة وقالت لها : إذا ضربته ثانية فسآخذه منك بمرة.

الذي يمكن الجزم به هو أن المسؤولية تقع على عاتق الآباء وعلى عاتق السلطات الفرنسية، فالكل مقصر من جهته، الآباء مفرطون، والسلطات الفرنسية تعطي للمرأة والأطفال والشباب حرية أكثر من اللازم، ولهذا تجد الأسرةُ في المهجر

نفسَها بين نار فقدان التربية الإسلامية الحقة ونار تدخل السلطات الفرنسية وهدمها للوضع التربوي الطبيعي للأسرة، بحيث تَعْزل الأسرةَ عن بعضها البعض.

عند دخولي إلى القنصلية وجدت السيد نائب القنصل العام للشؤون الاجتماعية للجالية - ويطلق عليه إداريا "القنصل المساعد"- في مكتبه، وهو عينه الذي استقبلنا في المطار، شاب من نواحي مدينة مراكش حديث التعيين، يدعى السيد الساسي، كان قد اشتغل في إفريقيا وفي وزارة الخارجية بالرباط، تبادلنا أطراف الكلام وتحاورنا حوارا علميا ووطنيا، وكان الهَمُّ الوطني هو الأساس، كان رجلا يقظا، يفوح حيوية ونشاطا، مكثت في مكتبه من الساعة التاسعة صباحا إلى الثانية بعد الزوال، في انتظار مجئ من يحملني إلى جهة أخرى، وكان هذا اليوم هو يوم الجمعة. وصل رجلان على متن سيارة بوجو 405 إلى مقر القنصلية، يدعى الأول السيد الصديق وهو رئيس جماعة المسجد المتوجه إليه، ومعه رجل آخر تعرفت عليه فيما بعد. قطعنا مسافة مائة كيلومتر باتجاه مدينة نمور Nemmoure ، عند وصولنا وجدنا الإمام في خطبة الجمعة، كان المسجد صغيرا جدا، لا يسع لمائة شخص، أديت الصلاة مع الإمام وجلست في انتظار صلاة العصر، حيث بعد الصلاة سأعطي درسا دينيا كما أعلمت بذلك.

كان الجو معتدلا وجميلا جدا، أشجار في الطريق باسقة، الطرق كلها معبدة وواسعة ومزدحمة، الدراجات النارية من النوع الجيد كثيرة جدا، بدأ الفرنسيون - كما حُكي لي – يميلون إلى استعمال الدراجات بلباسها وخوذتها، إنه رمضان في فرنسا،

تبدو كأن فرنسا كلها صائمة، كلما ابتعدت عن الازدحام إلا وأحسست بالهدوء والسكينة، لا أحد يقف في الطريق، لا ترى رجلان واقفان يتحدثان، الكل يسرع وفي عمله، حللت بهذا المسجد وفي نفسي أشياء كثيرة، منها أن الزمان المقدس يضفي السكينة على المكان وإن كان مدنسا، الذنوب التي تثقل كاهل الإنسان وهو مرهون بها وهي فرصة فتحها هذا الشهر الفضيل إن لم يُزل كُل ذنوبه على الأقل يُخفِّف منها، الوضع العائلي والأُسري لكل واحد منا، فالمؤمن يبقى مهموما بأولاده وأفراد أسرته مهما كان الوضع، الوقت قصيرا بين صلاة الظهر والعصر مقدار ساعتين تقريبا، كان إمام هذا المسجد رجلا جزائريا، كنت أتخوف من وجود بعض الخلافات بين المغاربة والجزائريين، وقد حُكيت لي أشياءَ كثيرة عن طبيعة الخلاف بين المغاربة والجزائريين تحتاج لوحدها لحكايات قد تدوم أياما، وهذا لا يقع في الغالب إلا في المساجد التي يتواجد في مكتبها المغاربة مع الجزائريين، فقد انتهى إلى علمي أن بعض الإخوة من الجزائر يعترضون على الأساتذة والأئمة من أمثالنا الموفدين من قبل مؤسسة الحسن الثاني للجالية المقيمة بالخارج أو من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بوصفهما مؤسسات رسمية راعية، فكان الإخوة المغاربة يدخلون معهم في خلاف حاد، كنت أتخوف من ذلك، لكن كل ذلك تبخر بفعل المعاملة الحسنة التي عاملني بها هذا الإمام، كان اسمه محمد القرزازي، طويل القامة، عريض الهامة، أبيض اللون بلحية بيضاء خفيفة، كان رجلا ورعا وصادقا من حملة كتاب الله عز وجل، قدمني للصلاة

فصليت بالجماعة صلاة العصر، بعد صلاة العصر ألقيت موعظة وأتممت ما تبقى منها بين العشائين، في المسجد دخلت غرفة صغيرة، كانت هذه الغرفة هي غرفة الإمام يستريح فيها حين يأتي إلى المسجد، فالإمام له بيت وأولاد، ويبعد عن المسجد بحوالي أربعين كيلومتر، استرحت فيها إلى غاية المغرب حيث جددت وضوئي وصليت بالناس وبعد الصلاة انصرفت بمعية الإمام إلى بيت أحد الإخوة أعضاء المكتب من نواحي ورزازات يدعى "قيماجيغين عدي" وكان معنا الأخ صديق، بعد الفطور عدنا إلى المسجد حيث الدرس الراتب بين العشائين وهو دَرسٌ رَئيسٌ يحضره عدد كبير من المصلين، ثم صليت بهم العشاء وأمَّ الإمام صلاة التراويح، ثم الجلسة الليلية التي أصبحت هي الأخرى راتبةً مع فئة معينة من أفراد الجالية، وهي جلسة كما تقدم متنوعة المواضيع منهم من يسأل عن الوضع العائلي، ومنهم من يسأل عن العمل والشغل، ومنهم من يسأل عن صلة الرحم والتربية والعلاقات العامة ... إلخ.

بعد صلاة ظُهْرِ اليوم الموالي وهو اليوم الثالث عشر من رمضان أخبرت بالتوجه إلى بروفانس Province حسب البرنامج، وأن إخوة بروفانس سيأتون ليحملوني إلى هناك، لم تأت الجماعة لسبب لا أعلمه، إلى أن المبررات هو أنهم لم يُخْبَروا بالبرنامج، ومثل هذا كثير الوقوع في أوربا، يُخْبَر الوَاعِظُ بالبرنامج ولا تُخْبَرُ بعضُ الجهات والعكس صحيح، اتصلنا بالقنصلية للإخبار فأفادوا بالبقاء في نفس المكان، ألقيت درس العصر بعد الصلاة، ثم جلست في مكتب الإمام متفرغا لقراءة القرآن

والذكر، صليت بالجماعة صلاة المغرب ثم رُحت بمعية السيد صديق في زيارة لأحد الإخوة أعضاء المكتب ويدعى كوزال محمد، من مدينة زاكورة، أسمر اللون، ثم عدنا إلى المسجد لإلقاء الدرس وصلاة العشاء والتراويح على نفس العادة، الأخ صديق اسم على مسمى، لا يفارقني قيد أنملة، في هذه الليلية كانت لنا زيارة أخرى عند السيد داوود أحد أعضاء المكتب بمعية الإمام والأخ لفضيل، وحضر إلى هذه الجلسة طالب يدرس في السلك الثالث هنا بفرنسا تخرج من كلية الآداب، شعبة اللغة الفرنسية من مراكش، تجاذبنا أطراف الكلام حتى الواحدة والنصف ليلا، كان كلامنا عن الجالية ومشاكلها وهمومها، وعن تربية الأولاد والعلاقات الزوجية، وعن التنسيق بين القنصلية والجمعيات العاملة بالمنطقة الخ، ثم توادعنا بالدعاء .

في اليوم التالي ونحن على أبواب المسجد لأداء صلاة الظهر رَنَّ هاتفُ الأخ صديق، إنها فرنسية مسلمة تسأل عن أمور تتعلق بالأحوال الشخصية، طلبتني في مجموعة أسئلة لم أفهم عنها لسرعة كلامها وقلة وضوحه، لكن حاولت أن أتلمس من كلامها بعض القضايا فأجبتها بما تريد، أصبحت العادة مألوفة كل يوم، بعد صلاة العصر موعظة، لكن الجديد فيها هو أن بعض الشباب طلبوا الترجمة إلى الفرنسية، فجمعتهم في زاوية من المسجد وأَعَدْتُ الدَّرسَ بالفرنسية مع الإجابة على بعض الأسئلة، في هذه الساعة حضر أخ من مدينة Montrou لحملي إلى هناك، يدعى هذا الرجل ب "أحمد لكروا" كان رجلا طيبا وبشوشا، كانت الابتسامة لا تفارق محياه، أصله من مدينة

السطات بالمغرب، بعد توديعي للجماعة هنا خرجنا من نمور باتجاه Montrou، المسافة بين المدينتين حوالي ثلاثين كيلومتر، كان وصولنا مع صلاة المغرب، تناولنا وجبة الفطور جماعة، في رمضان بصفة خاصة أن الإخوة المغاربة في كل جهات أوربا يتناولون وجبة الفطور والعشاء بشكل جماعي، إما في المسجد أو في البيوتات المفتوحة طيلة الشهر حيث يوضع برنامج من قبل المكتب المسير، وهي قضية يتنافس فيها الإخوة هنا لما لها من أجر كبير في هذا الشهر، إمام هذا المسجد شاب من مدينة تطوان، رقيق الطبع من حفظة كتاب الله تعالى، أبيض البشرة بلحية خفيفة، ومما تجب الإشارة إليه أن أئمة المساجد هنا جلهم تحت وصاية المكاتب المسيرة، وهم ينتعشون في هذا الشهر بصفة خاصة، ومجمل أسرار المكاتب ومشاكلهم وطبيعة العلاقات بينهم يمتلكها الأئمة، بل حتى خصوصيات بيوت الأشخاص، كثيرا ما كنت أدخل في حوار خاص مع الأئمة فكنت أفيدهم بأن دورهم لا يقتصر على مجرد الصلاة وقراءة القرآن بل يتجاوز ذلك إلى فض الخصومات، والتدخل لرأب الصدع وجمع الشمل، والتصدي لمعالجة المشاكل والانتباه إلى أولاد الجالية ...إلخ، بهذا يتصدر الإمام رتبة الثقة، ويكسب قلوب الناس، كان يحضر معنا رجل عضو بالمكتب من مدينة مراكش لم يحضرني اسمه ولا اسم الإمام أيضا، قبل صلاة العشاء ألقيت الموعظة، وأخبرتهم أن الموعظة الأخرى ستكون في يوم الغد بعد صلاة الظهر، حضر معنا وجبة العشاء أخ السيد أحمد لكروا ويدعى إدريس الكروا، وأخ آخر من ورزازات بالإضافة إلى الإمام ووجوه أخرى.

اليوم هو يوم الاثنين الخامس عشر من رمضان، بعد درس الظهر ترافقت مع رجل يدعى كريمي حيث خرجنا نمشي قليلا إلى وقت صلاة العصر، لما عدت إلى المسجد وجدت إخوة نمور قد جاؤوني بملابسي كنت قد تركتها للتصبين بإحدى المحلات الخاصة لذلك، بعد الصلاة جلست معهم في حديث ودي ثم ودعتهم، ثم انصرفنا لتناول وجبة الفطور كان يحضر معنا في هذه الجلسة جماعة من التونسيين وبعض المغاربة، بعد الدرس والصلاة ذهبنا إلى بيت الأخ كريمي رشيد حيث تناولنا وجبة العشاء، وتبادلنا أطراف الكلام إلى وقت متأخر، في اليوم الموالي أُخبرت بأن جماعة Champagne سوف لن يأتوا لحملي إلى مسجدهم مثل إخوة بروفانس، وذلك لنفس الأسباب وهو عدم علمهم بالبرنامج، فتقرر أن أبقى هنا في Montrou، اضطررت أن آخذ في هذا اليوم دوشا ساخنا، لم أنم بالليل كما يجب لأنني أخذت قهوة سوداء معصرة، بعد صلاة ظهر اليوم الموالي أخبرت بأن إخوة Champagne اتصلوا يريدونني، وأن إخوة Nangis اعتذروا، وأبلغني الأخ أحمد لكروا أنه اتصل بالقنصلية ونسق معهم في الأمر، وأنه اقتسم حصة Nangis مع إخوة Champagne، لذلك سوف لن أسافر إلى Champagne إلا في عصر يوم الخميس إن شاء الله .

في مغرب هذا اليوم كنا في استضافة الأخ العلوي، رجل من مدينة صفرو، بعد دَرْسٍ بين العشائين تقدم رجل يطلب المساعدة لبناء مسجد من المساجد، وهذه الظاهرة منتشرة بكثرة في أوربا، فهم يتعاونون فيما بينهم على بناء المساجد وعلى

الوقوف عليها، كل المساجد تقريبا بُنِيَت بالتعاون بين المحسنين، والمسجد له مكانة عظيمة هنا، وهي المكانة الطبيعية له طيلة قرون، فهو مكان للعبادة، ومكان للتعارف، ومكان للاجتماع، ومكان للتعليم والتعلم، ومكان للتربية والتكوين، فيه يُعبد الله، وفيه يتوب الناسُ ويرجعون، المسجد عليه المعول في كل شيء. ولا وجود لجماعة بلا مسجد، لذلك فقضية بناء المساجد والاهتمام بها ورعايتها هي قضية لا تُناقش هنا، وحتى دروس الوعظ والإرشاد وصلاة العيدين والجمعة إنما تُقام كلها في المساجد، ولذلك فمجمل أنشطة الدعاة إنما تقام في المساجد، لمحت أن الإمام لا يحبذ هذه الطريقة لأنها حسب ظنه تقلق المصلين لا سيما إذا تكررت مرات عديدة، أستطيع أن أقول إنها تنشط كثيرا في شهر رمضان، بعد الصلاة عدنا إلى بيت الأخ العلوي، حضر معنا في هذه الليلة رجل من مدينة مراكش، يعرفني جيدا، تحاورنا طويلا في مواضيع مختلفة ثم انفضَّ الجمع بالدعاء.

جلست في اليوم الموالي بعد الضحى أُدون بعض الكلمات وأُهيئ درس الظهيرة، كان فيه تجاوب كبير بيني وبين الحاضرين والحمد لله، ناولني كاتب الجمعية وهو السيد مصطفى كمال عنوانه البريدي يطلب مني الزيارة مرة ثانية، وناولته في المقابل بطاقة زيارة، هذه الطريقة تكررت في غير هذا المسجد، لم أعرها كبير اهتمام لأنها عربون محبة وأمارة تقدير فقط، في هذا اليوم أدينا الصلاة في مسجد آخر، وهو مسجد قيد التهيئة تعده الجماعة لاستبداله بهذا المسجد الصغير، وهذا من الاجتهاد، وهذا النوع من الاجتهاد لا يكون إلا بدافع الإيمان، فهذا يُبين على

أن الجماعة مجتهدة، كان في رفقتي إلى هذا المسجد الأخ أحمد لكروا، وأعتقد أن هذا الاسم مستعار من الآلة الكبيرة التي تسخر للحفر والدفع،وهي كلمة تكتب كما تنطق بالفرنسية، الكاف فيها يعادل حرف g بالفرنسية، يوجد المسجد في مساحة كبيرة جدا، أمامه ساحة كبيرة، توجد بالقرب منه قاعة للأفراح، يطل على المدينة من الجهة الأخرى من ربوة عالية، وجدنا به بعض الأتراك يبنونه، كان المكتب هو الذي يُشرف عليه، وكلهم مغاربة، أدينا به الصلاة وكان المطر قطرات، وفي صباح اليوم الموالي كان الضباب كثيفا، عانيت من عُسرٍ في التنفس، فاستعنت ببعض الأدوية والمسكنات، عدنا إلى المسجد لإلقاء درس المساء والصلاة وكانت المناسبة حول "غزوة بدر الكبرى: العبر والعظات"، من الأمور التي أستحضرها في هذا اليوم أن الإمام لما رأى بعض كتبي طلبها مني أمام أعضاء المكتب، لم أتمكن من رد هذا الطلب فناولته كتاب "محاضرات في علم الحديث" والجزء الأول من "أبو حاتم الرازي وجهوده في خدمة السنة النبوية"، والواقع أنني لم أملك غيرها، كنت أحتفظ بها للمراكز العلمية والكليات التي قد تكون استفادتها من هذه الكتب أكيدة، لكن في المقابل كانت عيني ترنو إلى كتاب الموطأ مترجما إلى اللغة الفرنسية، وهو بحوزة الإمام وفي مكتبته الخاصة، لكنه اعتذر عن هذا الطلب، هذه واحدة، وأُخرى أننا لما كنا في بيت أحد الإخوة وكنا فوق العشرة نفر وجه إلي سؤالا يتعلق بالاقتراض من الأبناك لأجل السكن، لم أكن أعلم أن القضية لا تخصه هو ولكنها تخص غالبية الحاضرين، فغالبية

الحاضرين هم ممن استفادوا السكن عن طريق الأبناك، لم يوجه أحد منهم السؤال إلي لكنهم سمعوا مني جوابا لم يرضهم، فكثر الكلام في الموضوع إلى درجة أننا تناولنا العشاء من دون شهية، تلك هي حيل بعض الأئمة الذين لا يراعون للمقام مقالا، هذا الموضوع ساحته هو المسجد لا البيت، وكل الناس لا مجموعة منهم فقط، ولا يجب أن يكون لأجل النيل والتعريض والشماتة بالناس، على كل حال كان الجواب شرعيا وبرؤية فقهية تراعي الضرورات والمحضورات.

اليوم هو يوم الخميس الثالث عشر من رمضان، لم يبق لي في هذا المسجد غير درس واحد بعد صلاة الظهر وهو "ما يجب على المسلم في بلاد المهجر تعلمه"، أثناء إلقاء الدرس طلب مني الإمام الاختصار لأن اليوم هو يوم تسوق، كانت فرصة أنني خرجت بمعية أحد الإخوة إلى السوق حيث اقتنيت بعض الملابس، ومن السوق اقتنيت كتاب رياض الصالحين مترجما إلى الفرنسية، كانت فرحتي غامرة بهذا الكتاب لأنه سينفعني في مهمتي هنا في فرنسا، رجعت إلى المسجد لأداء صلاة العصر حيث بعد الصلاة وجدت أحد الإخوة من Champagne في الانتظار، لا أنسى الجو الإيماني والروحي الذي ساد لحظة توديع إخوة مسجد Montrou، لقد افترقنا بالعناق والدموع تغمر العين، نرجو أن يصدق علينا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه)، أولئك هم آهل الله. كان الذي جاء من Champagne هو السيد الحسين، أصوله من ورزازات ويسكن في مراكش، حملني بسيارة بوجو 205 إلى

المدينة، عرج بي إلى بيته حيث جددت وضوئي واستمعت إلى الأخبار، وكنت مشتاقا لسماع الأخبار لأنني شبه منقطع عن العالم الخارجي، قُبيل المغرب رحنا إلى المسجد وهو بجوار بيته، كان مسجدا صغيرا جدا، وصل الوقت، أقمتُ الآذان والصلاة وصليت بالناس، تناولنا وجبة الفطور وجلسنا في انتظار صلاة العشاء، كان الوقت بين المغرب والعشاء قرابة ثلاثة ساعات، جماعة هذا المسجد جماعة طيبة، ليس لهم إمام، يتناوبون عن الصلاة، ويصلون التراويح قراءة من المصحف، كانوا يتعمدون تأخير الصلاة قليلا حتى يلحقها عدد كبير من المصلين، لأن نسبة كبيرة من الناس يعودون من العمل متأخرين، بعد الصلاة ألقيت فيهم موعظة، ثم صليت بهم التراويح، تناولنا وجبة العشاء وسهرنا إلى حوالي الثانية ليلا، كانت الجلسة جلسة علمية أيضا، في صباح اليوم الموالي كنت ضربت موعدا مع السيد السعيد ليحملني إلى مدينة Ivry لأداء صلاة الجمعة، تبعد Ivry عن Champagne بحوالي أربعين كيلومتر، ذهبنا على متن سيارة إسباص، دخلنا مسجدا كبيرا مجهزا بأحدث الأجهزة يسمى بمسجد المركز الإسلامي، بعد الصلاة زرت مكتب المركز الإسلامي، استقبلني مدير المكتب بتطلق وبشاشة، رجل أبيض اللون ذو بنية، أصله من مدينة سبتة، اسمه "خليل مروة"، جلست في مكتبه وقتا طويلا يحدثني عمن زار المركز من المغاربة ومن المبعوثين، كان شديدا في كلامه، قويا في حجته، تبدو الصرامة بادية عليه من خلال حركاته وكلامه، في الوقت الذي كنا نتكلم فيه زارته بعثة تلفزية تريد أن تُسجل معه في موضوع "السامية"، وكان هذا الموضوع في هذا الوقت يملأ الدنيا ويشغل

الناس، ولاسيما في فرنسا، بعد صلاة العصر طلب مني كلمة خفيفة في موضوع "ليلة القدر"، بعد الكلمة انصرفنا راشدين إلى Champagne حيث دخلنا المسجد في وقت المغرب، بعدما تناولنا وجبة الفطور كان الإخوة قد رتبوا لي لقاء مع التلاميذ على الساعة السابعة والنصف، خرجت في الوقت، وجدت بالمسجد قدرا لا بأس به من الكبار والصغار، كلمتهم في معنى "الإسلام" بالعربية والفرنسية، هنا فوجئت بزيارة الأخ العلوي من Montrou، أدى معنا صلاة العشاء والتراويح واعتذرت عن السهر لأنني سأتوجه غدا - إن شاء الله - إلى مدينة Nangis، وكنت قد حددت مع جماعة هذا المسجد منتصف نهار يوم السبت 15 نونبر الموافق ل 20 رمضان الأبرك .

في هذا اليوم حملني الأخ أخراز يدر وهو عضو من الجماعة مع الأخوين الحسين والسعيد على متن سيارة ميرسيديس 250 حتى دخلنا Nangis، قطعنا قرابة 30 كيلومتر، كانت الطريق كلها فلاحية، جميلة جدا، بها غابات وبساتين، وبهائم هائمة على وجهها ترعى في أمن وأمان، غابات كثيفة، أشجار متناسقة غليظة ورقيقة، أوراق صفراء وحمراء تتساقط، ضباب خفيف زاد المكان جمالا، وصلنا إلى مسجد واسع وجميل، يوجد أمامه سوق كارفور كبير، ألقيت فيه كلمة بعد صلاة الظهر وأخرى بعد صلاة العصر، بهذا المسجد إمام من مدينة تطوان يدعى عبد السلام، من الحفاظ، يقظ وفطن، بعدما أدينا صلاة المغرب بالمسجد رُحنا إلى بيت السيد نائب رئيس الجمعية المسمى ب "الرهواني"، في هذه الجلسة حدثوني بأن هناك مشكلة كبيرة بين زوج وزوجته، وهي مشكلة أرقتهم

منذ سنوات، ذاعت هذه المشكلة وانتشرت حتى أصبحت حديث الناس، لم يقدر أحد على أن يصلح بين الزوجين، خرجنا إلى بيتهما بإذنهما، وجدنا الرجل يبلغ من العمر 58 سنة، والمرأة من عائلته أصغر منه بسنوات، تتلخص مشكلتهما في أمرين : هي منعته من نفسها وهو منعها من النفقة، هي تشكو من عدم النفقة، وهو يشكو من هجرها لفراشها ومنعها نفسها منه، هو يقول إن سبب عدم النفقة هو هجرانها، وهي تقول إن سبب العزوف والمنع والهجران هو عدم النفقة، إنها مسألة دور كما قال الشاعر:

مسألة الدور جرت * بيني وبين من أحب
لولا مشيبي ما جفا * لولا جفاه لم أشب

يسر الله سبحانه وتعالى أن كتب الصلح على أيدينا، ولم نخرج من البيت حتى جمعنا بينهما وبين أولادهما، وأخذنا عنهما مَوْثِقاً، والذي يشفع لنا في الصلح هو أننا موفدين رسميا من المغرب، خرجنا مسرعين إلى المسجد وجدنا الناس قد دخلوا في الصلاة، أدينا ولله الحمد الفريضة والتراويح، ثم اجتمعنا عند أحد أعضاء المكتب وهو السيد البوحاتي إلى وقت متأخر لنختم الجلسة بالدعاء لنا ولهم ولسائر المسلمين.

هذا ما كان من أمر العشر الوسطى، سُقته في هذه الحلقة، أما ما جرى في العشر الأواخر من رمضان هذه الرحلة فسأرجئه إلى الحلقة الثانية في العدد المقبل إن شاء الله، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.